

## الجملة الخامسة

- ١ -

درج المسلمون خلال عصور متطاولة أن يكون للواحد منهم مذهب الفقهى فهذا حنفى وهذا شافعى وهذا حنبلى وهذا مالكى ومن قبل كانت هناك مذاهب أخرى كثيرة وكان لها أتباع فهذا أوزاعى وهذا نورى وهكذا . والذي دعا الناس الى ذلك هو أن نصوص الكتاب والسنة تحدثت في كثير من الأحيان باجمال ، وشيء عادى ألا يكون كل انسان قادرا على الوصول الى الأحكام التى لم ينص عليها صراحة في الكتاب والسنة ومن ثم فان الناس كانوا يسألون أهل العلم عن هذه الأحكام ، وبلغ ناس درجة الامامة في استنباط الأحكام على ضوء قواعد أصولية منضبطة ، وسلم الناس لهم بهذه الامامة واعتبروا أن لكل مسلم الخيار في أن يسأل أى واحد من هؤلاء عن أى مسألة وإذا أجابه فله العمل بما أفتاه واعتبر الناس أنه من الأشياء العادية أن يتفقه المسلم على امام من أئمة المسلمين ، ولم يكن في ذلك ما يستتكر ما دام الامام أهلا للاجتهد وبما اجتمع له من علم راسخ ومن ورع ومن ملكة استنباط ، واستقر الكثيرون على المذاهب الأربعة لأسباب منها :

- — أنها المذاهب التى استمرت مدارسها متمثلة بمحققين وأتباع .
- — أن المذاهب الأخرى انقطعت اما بسبب عدم كفايتها أو عدم وجود التحقيق أو التأليف أو الاتباع .

— أنه لا اطمئنان في شأن الفتوى الا على مذهب من هذه المذاهب الأربعة لأن قواعد وأصولها وفروعها محفوظة منقولة فاذا أراد الانسان أن يتعرف على حكم فانه يستطيع ذلك لأن كل حيثيات الأمور منضبطة . أما المذاهب الأخرى فهى منقولة في الكتب عن أئمتها . ولكن لا يعرف ما اذا كان للقول المنقول حيثيات أخرى عند صاحب المذهب لجواز الافتاء بهذا القول هذا عدا عن كون المذاهب الأربعة لها قواعد الأصلية في الاستنباط محفوظة وموجودة وبذلك يستطيع الانسان أن

يتعرف ويضمن وعلى ضوء قناعته بأصول امام يستطيع أن يتبنى مذهبه ويضمن الى فتواه وهذا غير متوفر على كماله الا في المذاهب الأربعة تقريبا •

وبجانب المذاهب الفقهية الأربعة لأهل السنة كان يوجد أهل الحديث وقريب منهم مذهب الظاهرية ولكن أهل الحديث لم يشككوا في يوم من الأيام مذهباً ، بل أكثرهم كانت لهم مذاهبهم الفقهية وفي الغالب لهم تحقيقات •• ونستطيع أن نقول ان المذهب الظاهري ما خرج عن ذلك لأن المذهب — حتى يعتبر مذهباً — لا بد أن يكون فيه جواب على كل سؤال اما جواب امام المذهب أو جواب على أصول امام المذهب • أما اذا لم يكن كذلك فلا يعتبر مذهباً • لأن أمهات المسائل معروفة مشهورة ومهمة المنهجة ومذهبه الاجابة على كل سؤال يحتاجه امتداد الاسلام في الزمان والمكان ، ان المسائل التي يحتاج الى معرفتها الانسان اما أن يمشي الانسان فيها على جهل وهذا حرام ، أو على علم ، وهذا يقتضى منه أن يكون مجتهداً ، أو أن يسأل مجتهداً ، ومن الصعب أن يكون الانسان مجتهداً لكثرة الشروط التي يجب أن تتوافر في المجتهد ، فلم يبق أمام أكثر الخلق الا أن يتفقهوا على مذهب امام مجتهد ، وأن يستفتوه في المسائل والحوادث وذلك واجب شرعى كيلا يسير الانسان على غير بصيرة وهذا الذي يجعل الأمة تستقر على المذهبية الفقهية •

\*\*\*

والناس في الأحكام العملية التي هي مدار علم الفقه ثلاثة أقسام : انسان وصل الى رتبة الاجتهاد وانسان عالم بمصادر القول وموارده ولم يصل الى رتبة الاجتهاد وانسان عامى عادى • أما الأول فمكلف في السير على ما يوصله اليه اجتهاده • وأما الثاني فمكلف أن يسير على رأى من اقتنع أن معه الحق من الأئمة ، وأما الثالث فله أن يتابع أى امام من الأئمة فمن سأل فافتاه فله أن يعمل بفتواه ان كان من أهل الفتوى والهدى ومن ثم قال العلماء : العامى (١) لا مذهب له وقالوا : العامى مذهبه مذهب مفتيه •

وعلى هذا فشىء عادى أن يوجد في هذه الأمة مجتهدون ، وأن يوجد علماء في مذاهب هؤلاء المجتهدين ويفتون ويفقهون على مذاهبهم ،

(١) المراد بالعامى هنا غير العالم المختص بالشريعة أو غير المجتهد •

وأن يوجد بعد ذلك عامة يتفقهون على مذهب امام وأن يأخذوا بفتوى  
أي امام مجتهد .

\* \* \*

وشيء عادي أنه من الأسهل للعالم أن يعتمد اماما مجتهدا ويتفقه  
على مذهبه ، حتى لا يضيع في خضم الأقوال المتعددة ، فالفقه على  
مذهب واحد أسهل على الانسان وأقرب لتفقهه وأبعد عن ضياعه وأجدي  
أن يعرف كيفية البحث عن المسألة التي يحتاج الى معرفة حكمها ،  
وكما أن ذلك أسهل على العالمي فهو أسهل على العالم .

\* \* \*

صحيح أنه لا بد للعالم أن يكون ملما بالكتاب والسنة وشروحيهما ،  
ولا بد له أن يعرف أصول الاستنباط والأحكام المستنبطة . ولكن أن  
نكلفه بمعرفة كل حكم قاله فقيه فهذا يقتضيه أن يقرأ ملايين الصفحات  
ومن ثم فالعالم ليتقن الفتوى لا بد له من التفقه على مذهب امام بعينه  
ليستطيع الفتوى على مذهبه ، فاذا كان هذا في شأن العالم فكيف  
في شأن العالمي ؟

\* \* \*

يستطيع العالم بالمذهب اذا استفتيته أن يجيبك ان كان مستحضرا  
جواب امامه في المسألة والا فانه يستطيع الرجوع الى كتب المذهب  
والا فانه يستطيع أن يجيبك على ضوء قواعد المذهب ان كان قد أتقن  
أصول المذهب .

ويستطيع العالمي أن يدرس كتابا مختصرا في مذهب ما خلال أيام  
أو شهور واذا به فقيه في أمهات المسائل التي يحتاجها الانسان ومن ثم  
وجدت المذهبية الفقهية التي كان الهدف منها التسهيل والبعد عن الضياع .  
فالذهبية الفقهية في الأصل كانت وليدة قناعة بطرق الاستنباط  
والاقتصار في التفقه على مذهب كان وليد الاحتياج للتسهيل والتبسيط  
في الحياة العملية .

\* \* \*

ان مجموع مذاهب الأئمة انما هي انبثاق عن الكتاب والسنة وعن  
طرق الاستنباط التي حددتها نصوص الكتاب والسنة ولم يقل امام رأيا

من عند نفسه بدافع الهوى ولم يقل ما قال الا وهناك وجهة نظر علمية دفعت له لذلك . والارث الفقهي ارث ضخم وثروة تشريعية هائلة تجعل هذه الأمة على غنى في وجهات النظر أمام الحوادث بما يسع احتياجات الزمان والمكان ومن ثم فاننا نقول :

انه ما وجد الاختلاف في بعض المسائل بين الأئمة الا لوجهات نظر تقتضى ذلك والا لضرورات أوصلت الى ذلك ، ومن ثم فان احتياجات الأمة الاسلامية لا يسعها الا مجموع أقوال الأئمة والمجتهدين على امتداد الزمان والمكان . وكل من يتصور أن مذهباً واحداً يسع الناس زماناً ومكاناً فإنه واهم . ولذلك فإنك لا تجد فترة من الفترات الا والناس يستفتون أكثر من مذهب وتجد حتى علماء المذهب يرسلون الى علماء مذهب آخر يستفتونهم في بعض الأمور لشعورهم بضرورة ذلك في مسألة ما .

\* \* \*

وخلال التاريخ الاسلامي كله كانت مناقشات وتحقيقات بين الاتجاهات الفقهية والمذهبية يقوم بها العلماء في المذاهب أو المحدثون أو المفسرون دون تكبر ، وكثيراً ما نجد العالم في المذهب يترك مذهبه في مسألة الى مذهب امام آخر لقناعته أن الدليل معه وكل ذلك كان ويكون ولا حرج على فاعله الا أن صورة واحدة كانت مكروهة عند العلماء هي أن يترك العالم المقتنع بمذهبه مذهباً الى مذهب آخر لسبب دنيوي لا بسبب قناعة دينية وهو أمر للكراهة فيه وجهها غير المستنكر وهذا كله في العالم البصير بأدلة مذهبه المقتنع بها أما العامي فالأمر في حقه مختلف كما رأينا لأنه لا مذهب له .

\* \* \*

وهناك موضوعان يحتاجان الى استشراف شامل على كل أقوال العلماء : موضوع الدولة والحكم ، وموضوع الدعوة والتربية والارشاد . أما الدولة فالأصل أن يكون امام المسلمين مجتهداً قد وصل الى رتبة الاجتهاد ولينستطيع أن يجابه احتياجات الأمة الاسلامية والدولة الاسلامية ، وبالتالي فإنه في الأصل ليس مقيداً باجتهد مجتهد . أما إذا لم يكن الامام مجتهداً فان له حق اختيار قول من مجموعة الأقوال الفقهية في القضية الواحدة وقرضه على الناس ، ولذلك شروط ، منها :

— أن يكون الحامل على ذلك المصلحة •

— أن يكون الأمر قد أشبع شورى •

وأما الدعوة والتربية والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فان صاحب ذلك ليس مقيدا بمذهب ، فالمرشد والمربي لا يتقيد بمذهب لاحتياجه الى خطاب أصناف من الناس ولمواجهة حالات متعددة وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستطيع الأمر أن يثبت فيما كان له وجه في مذاهب أخرى وله الحق أن يناقش بالمعروف للحمل على أعلى الأقوال وأشدّها في القضية الواحدة وهكذا ••

هذا ما عليه أهل العلم في هذا الشأن شأن الفقه ومذاهبه المتعدده ومدارسه المختلفة • فلنر لم استقر الناس على هذا من خلال التعرف على قضية المجتهد وهي عقدة هذا الشأن ؟

\* \* \*

لابد حتى يصل انسان الى رتبة الاجتهاد من أن يكون ملما الماما كاملا في اللغة العربية وهو موضوع ثقيل بعيد الغور لا يدرك معناه الا من عاناه ولا بد أن يكون عالما بالكتاب والسنة وهو موضوع واسع الحثيات لا يصل الى العلم به الا موفق •

ولابد مع ذلك كله أن يعرف اتجاهات العلماء في المسائل العملية حتى لا يقع في مخالفة اجماع •

ولابد مع ذلك أن يكون له مذهبه في الاستنباط وقدرته على الاستنباط وهذا لا يتوفر لأحد الا بتوفيق •

ولابد مع ذلك كله أن يكون عارفا بعصره وبما يجري حوله ، عارفا بمجريات الأمور وأحوال الناس لما يترتب على ذلك من تأثير على الفتوى ، فالفتوى تقدر زمانا ومكانا وشخصا وهذا بعض ما يشترط في المجتهد ، ومن تصدر للاجتهاد وهو ليس أهلا له يخشى عليه أن يضل ويضل ، لأنه قد يفتي محلا حراما ومحراما حلالا وأجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار ، والقاضي اذا قضى بغير علم كان من أهل النار • وفي الحديث : قاض الى الجنة وقاضيان في النار • • واذا كان

الأمر كذلك فإن الأمة لم تسلم برتبة الاجتهاد الا للقليل ، وهذا القليل هو الذى سلمت الأمة لفتواهم ولفقهم •

\* \* \*

في هذه الشريعة هناك القواعد العامة وهناك الحالات الاستثنائية هناك النصوص وهناك تأثير العوارض على النصوص •  
ما هي حالات الاضطرار وتأثيراتها على القواعد العادية ؟ وما هي حالات الاكراه وتأثيراتها ؟

ما هي حالات الضرورة في حق الفرد والأمة وتأثيراتها على الأحكام العادية ؟ ما هي تأثيرات العرف على الأحكام ؟ هناك نصوص وردت في حالة استثنائية ونصوص كانت بسبب سياسة يومية وهناك نصوص للحالات الدائمة والعادية كل ذلك يجعل الفتوى صعبة ، ويجعل المؤهلين لرتبة الاجتهاد قليلين ولذلك فقلة هم الذين سلمت لهم الأمة برتبة الاجتهاد •

ومن هنا ندرك لم ينبغى أن يكون أمير المؤمنين قد وصل الى رتبة الاجتهاد (١) ؟ وما ذلك الا لأن الحالات التي تصادف الدولة وأفرادها من حالات داخلية أو خارجية لا تعد ولا تحصى • ومن ثم فانه لا يستطيع أن يواجهها الا امام مجتهد •

\* \* \*

مما مر ندرك سبب ما استقر عليه العمل عند أهل العلم في موضوع الفقه ومدارسه المتعددة وأسباب ذلك وضرورته • وجاءت الحركة الاسلامية المعاصرة وكان مؤسسها اماما قد وصل الى رتبة الاجتهاد وهو حسن البنا رحمه الله فماذا كان موقفه من هذه القضية ؟  
قبل أن أجيب على ذلك أحب أن أسجل صفحة مهمة :

كان شيخنا الشيخ محمد الحامد رحمه الله وهو الذى لم تقم العين على مثله ورعا والتزاما واخلاصا وتحقيقا وتمسكا بما ظهر له من حق كان شيخنا هذا رحمه الله من الذين يرون أن باب الاجتهاد قد أغلق في هذه

---

(١) هذا هو الأصل في الخليفة فاذا لم يوجد فلا يتوقف اعطاء منصب الخلافة على مثل ذلك •

الأمة وهو موضوع تكلم فيه العلماء منذ عصور بسبب رؤيتهم تعذر وجود مجتهد يحيط باتجاهات العلماء بعد مسيرة الأمة الإسلامية كذا قرنا ومع أن شيخنا رحمه الله كان يرى ذلك فإنه كان يقول عن الأستاذ البنا رحمه الله بأنه وصل الى رتبة الاجتهاد . هذا مع أن الشيخ رحمه الله كان له مناقشات حادة وطويلة مع الأستاذ البنا في كثير من الأمور وكثيرا ما رجع الأستاذ البنا الى رأيه . وكان الشيخ الحامد رحمه الله يقول عن الأستاذ البنا : كان لى زعيم ومات وكان الى آخر عمره اذا ذكره يبكيه بكاء مرا رحم الله الاثنين ونسأل الله أن يلحقنا بهما في عيين مع الرسل والأنبياء والشهداء والصالحين .

ان الأستاذ البنا رحمه الله الذى هذا شأنه هو واضح نظريات العمل الإسلامى المعاصر وكل كلمة من كلماته يجب أن ننظر اليها بمنظار دقيق . انه اذا كانت الفتوى لا يستطيعها أى انسان فكيف بنظريات العمل الإسلامى فى عصر معتد وبعد تاريخ طويل ذى مأس متعددة وفى مرحلة ضعف رهيبه أصابت الإسلام والمسلمين ؟

فماذا كان رأى الأستاذ البنا رحمه الله فى موضوع الفقه ومذاهبه ؟

يرى الأستاذ البنا أن لكل مسلم الحرية فى اختيار مذهبه الفقهى . وعليه أن يقوم بدراسة هذا المذهب واتقان مسائله وأدلته كما أن عليه أن يرتفع الى آفاق التحقيق ان استطاع ذلك .

ولا يرى الأستاذ البنا للجماعة أن تتبنى مذهباً بعينه قبل السلطة ويُعدها لأنه لا يسع حاجات المسلمين ويعطى للدولة حق اختيار القول المناسب فى القضية المطروحة .

وجاء سيد قطب رحمه الله وحذر من موضوع التبنى اليومى للرأى الفقهى ، وحذر من موضوع المعالجات الجزئية لاتجاهات الجاهلية ، ولم يكن سيد قطب فى ما ذهب اليه متناقضا مع الأستاذ البنا بل كان موضحاً لموقف هو فى الأصل موقف الأستاذ البنا ، ولكن الناس فهموه فهما خاطئاً وهذا ظلم كبير لسيد رحمه الله . وسيد ظلم كثيرا ظلم من خصوم حرقيين لم يفهموه فحملوا كلامه ما لا يحتمل ، وظلم من أصدقاء غلاة لم يفهموه فوضعوا كلامه فى غير محله .



حاولنا في هذه الرسالة وغيرها أن نبين أن هناك شيئا اسمه حق العلم وشيئا اسمه حق الدعوة وشيئا اسمه حق التربية وشيئا اسمه حق المعركة . فحق الدعوة يقتضى منك أن تركز على معان قبل غيرها وألا تقع في منزلق يريد أعداؤك أن يستفروا طاقاتك فيه . وحق العلم يقتضى منك أن تبين الحق في كل أمر وأن تفتى في المسألة المطروحة أمامك . لقد كان سيد في ما ذهب إليه يتحدث عن حق الدعوة فحق الدعوة يقتضى منك ألا تتبنى في هذه المرحلة موقفا جزئيا من قضية هي وليدة المجتمع الجاهلى وألا تستفرغ طاقاتك في بحث مشاكل آنية قد لا تصادفها كلية بعد السلطة وذلك وضع منطقي وطبيعي ، ولكن هل يحرم سيد على أن أستفتى العلماء مثلا في أمر أنا أعانى منه أو أن أستفتى العلماء في امكانية الاستفادة من قانون أو في حل شيء أو حرمة؟ حتما لم يخطر هذا على باله وهو يتكلم ما تكلم ولكن الناس غلطوا في الفهم عنه .

ان سيدا لم يدرس العلوم الاسلامية التقليدية في الغالب ولذلك فهو بعيد في تعبيراته عن اصطلاحاتها ويأتى كثير من الحرفيين الدارسين لهذه العلوم ليحاسبوا سيدا رحمه الله في تعبيراته على هذه المصطلحات وهو لا يريد في تعبيراته مطابقة أو مناقضة هذه الاصطلاحات لأنه يتكلم بعيدا عنها فأن يحاسب من خلالها فذلك ظلم له وسيد لم يرد فيما كتب أن يكون فقيها مفتيا ولا أصوليا نظارا ولا متكلما مناظرا بل لم يرد حتى في ظلاله أن يأخذ كتابه طابع تفسير فمن الظلم له اذن أن يضعه أصدقاؤه موضع المفتى والمتكلم والأصولى ، هو يتكلم في واد وأولئك في واد والأمة تحتاجهم وتحتاجه ولا يغنى كلامهم عن كلامه ولا كلامه عن كلامهم وقديما قالوا : لا يغنى كتاب عن كتاب .

\* \* \*

يقول الأستاذ البنا في رسالة التعاليم في القاعدة السابعة من قواعد الفهم :

« ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع اماما من أئمة الدين ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة امامه وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته وأن يستكمل نقصه العلمى ان كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر » .

في هذه القاعدة جمع الأستاذ البنا أدب السير العلمي كله ومراحله وأدب المسلم أمام الارشاد والنصيحة والتربية وموقفه من الدليل. فالأستاذ رحمه الله تلقى ما اعتمدته الأمة ووجه إليه • ولكنه مع ذلك حرر من أمراضه الكثيرة التي رافقته فهو يأخذ الخير الذي وصلت إليه الأجيال السابقة ويحاول تحريره من دخنه وهذا هو جوهر حركة الأستاذ. البنا أخذ الخير الموروث وتحريره من الدخن العالق به •

\*\*\*

ويكمل الأستاذ موقفه من قضايا الفقه في القاعدة الثامنة فيقول :  
 « والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين ولا يؤدي الى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من انتحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول الى الحقيقة من غير أن يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب » •  
 وهكذا نجد أنه في مواضع الفقه وضع الأستاذ البنا رحمه الله الأمور في مواضعها أخذ للخير وأقرار له وبه وتحرير من الدخن الذي رافقه •

ويكمل الأستاذ موقفه من موضوع الفقه فيقول :

« وكل مسألة لا يبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعا ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع » وهذا موقف علمي دعوى وتربوي بآن واحد •

هذا كله على مستوى الأفراد أما على مستوى الدولة ، فانه يقول في القاعدة الخامسة : « ورأى الامام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوها عدة وفي المصالح المرسله معموم به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات » •

هذا رأى الأستاذ رحمه الله في موضوع الفقه والمذهبية على مستوى الفرد والدولة فهل ترى بينه وبين ما استقر عليه أهل العلم في هذه الأمة خلافا ؟ • • • حتما لا •

\*\*\*

اننا لو أردنا أن نلخص موقفنا كحركة من هذا الموضوع فاننا نقول :  
 اننا نعطي الأخ حرية الالتزام بالمذهب الفقهي الذي يريده ، ولكننا

نطالبه أن يتفقه فيه • ونعتبر المدارس الفقهية ثروة تشريعية هائلة ولصالح هذه الأمة ، وسنشجع وجود الاختصاصيين في هذه المدارس ، وسنوجد دور الفتوى المتعددة على كل المذاهب في حالة قيام الدولة ليستفتيها الأفراد والدولة في كل أمر • ونعتقد أن مذهباً واحداً لا ييسع هذه الأمة ولم يسعها في يوم من الأيام بل نحن في عصر نحتاج معه إلى مجموع أقوال الأئمة أكثر من أي عصر سبق ، ونعتقد أن للدولة المسلمة خيارات واسعة في أن تختار رأياً من مجموعة الآراء الفقهية لتفرضه كقانون على الأمة ، ونرى أن التحقيق العلمي واجب العلماء ولا نضيق ذرعاً بتحقيق عالم كائناً من كان ، وتحقيق أهل الحديث وأهل الظاهر من التحقيق الذي لا نضيق به ذرعاً ولا نحاربه ، ونرى أن العنتم المقتنع بوجهة نظر فقهية مكلف بها تكليفاً خاصاً • أما الذي لا يملك أهلية النظر بالأدلة فخياراته واسعة ما دام على رأى أمام مجتهد وبذلك تكون فتاوات الأفراد الشرعية قد أعميت مداها وتحققت وحدة الأمة بوحدة تشريعها •

ولاشك أن دور الجماعة قبل السلطة وبعدها هو المنظم لهذا كله ونقصد بالجماعة هنا جماعة المسلمين ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا والابنظريات وتوجيهاته التي من جملتها الحب لكل العاملين المخلصين ولعله أن الأوان لنسجل قضية ونناقش فكرة •

أما القضية فهي تفصيل لحدى الإيجابيات في دعوة الأستاذ البنا وأما الفكرة فهي كيف يجتمع في دعوة الأستاذ البنا وجود المذهبية الفقهية ووحدة الجماعة؟

ولاشك أن من تأمل الكلام السابق أدرك من خلال الكلام عن وحدة الأمة التشريعية مع وجود المذهبية كيف يمكن أن تتحقق وحدة الجماعة مع المذهبية الفقهية ومع ذلك فإن كلاماً ما ينبغي أن يقال في هذا الموضوع :

ان حسن البنا من بين خلق الله في هذا العصر استطاع أن يوجد القاسم المشترك الوحيد الذي يمكن أن يلتقى عليه المسلمون وتقوم لهم به جماعة جامعة • كما استطاع أن يوجد كل الأسس التي بها تقوم هذه الجماعة وتستمر وتحقق باذن الله انتصارات للإسلام وكل ذلك دون أن

بتخلي عن ذرة من الحق الذي أنزله الله عز وجل وكل ذلك في بابه عجيب  
لا يتم الا بتوفيق •

\*\*\*

لقد وضع الأستاذ البنا قواعد للفهم وقواعد للتربية وقواعد في  
التنظيم وقواعد في الاستراتيجية والحركة وأبقى الباب مفتوحا بعد ذلك  
لأنواع من الاختلافات في وجهات النظر لا تضر وحدة الجماعة ما دام هناك  
التزام بتلك القواعد ، وما دام الاختلاف منضبطا بها وبهذا وأمثاله  
استطاع الأستاذ البنا أن يقيم بناء يتوسع على الزمان • نقد استطاع  
الأستاذ البنا أن يوجد الاطار الكلي الذي يضم المسلمين جميعا فكرا  
وتنظيما واستطاع أن يجمع بين الأفكار الصالحة كلها وينفي الأفكار  
الخاطئة كلها فجمع في دعوته ما تفرق عند غيره من خير ، وأبعد جماعته  
عما يوجد في غيرها من شر أو دخن ، وهو موضوع سنراه في أكثر من  
مكان من سلسلتنا « في البناء » بشكل واضح فلنعد الى موضوعنا •

\*\*\*

— ٢ —

ومنذ عهد الصحابة والتابعين ظهرت بذور أمور خطيرة في باب  
العقائد ، وظهرت بدايات الفرق الاسلامية الرئيسية ، فظهر الخوارج ،  
وظهر القدرية الذين يؤمنون أن لا قدر وظهر التشيع العالي ، وظهرت  
بذور الورع الجاهل ، وما يستتبعه ذلك من مواقف خاطئة متطرفة ،  
وطرحت أسئلة كثيرة في باب العقائد تدل على فساد في القلب ورغبة  
في التحذلق أو التعجيز ، ودخل في الاسلام أبناء أديان متعددة وبعضهم  
لم يكن صادقا في دخوله ، وبدأ حوار بين المسلمين وغيرهم في أمور  
كثيرة ، ثم ترجمت كتب الفلسفة اليونانية وغيرها • وظهرت أفكار  
جديدة وغريبة • وخلال ذلك كله نشأت الدعوات الباطنية ، وظهر مقابلها  
ردود فعل كثيرة فظهر المشبهة والمعتلة ، وظهر المؤولة والحرفيون ،  
ويقدر ما كان أهل السنة والجماعة بفرون من الفلسفة والتعقيد في باب  
العقائد وبحرصون أن يبقى الصفاء في الاعتقاد وجدوا أنفسهم مضطرين  
للرد والاجابة ثم لتقرير العقائد الصحيحة في كل مسألة وهكذا نشأ  
وبلا خيار منهم علم العقائد الاسلامية على طريقة أهل السنة والجماعة •

ولقد استجروا استجرارا لأن يتكلموا في آلاف المسائل ولم يكن  
أمامهم إلا أن يتكلموا ، وهكذا كان الدأب والشأن في كل عصر ، وكان  
اكل عصر مشاكله ومسائله وقضاياها وبحوثه وفتته حتى جاء عصرنا وفيه  
زيادة على ما في العصور •

وكما وجد في الفقه مؤلفون وكتب ، وكما وجد في الفقه أئمة أجمعت  
الأمة على قبولهم ، فكذا في باب العقائد وجد أئمة أجمعت الأمة على  
إمامتهم في هذا الشأن كأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي ،  
وهكذا وجد ما سمي بعلم أصول الدين أو ما سمي بعلم الكلام أو ما سمي  
بعلم التوحيد أو ما سمي بالفقه الأكبر أو ما سمي بعلم الاعتقاد أو  
المعقيدة أو العقائد الإسلامية •

\*\*\*

وأمام كثرة الفرق وكثرة أئمة الضلالة وأمام نشاطهم الذي لا يقف  
عند حدود لم يكن أمام المسلم خيار في ألا يدرس هذا العلم بمسائله  
المشهوره ليكون عنده عصمة عن الزلل أو الخطأ أو الانحراف أو الوقوع  
في الشبه أو البدع أو الاستجابة لأصحاب الضلال وأسبابه ومن ثم  
اعتبرت دراسة علم العقائد من فروض العين عند العلماء على أن ما هو  
فرض عين في حق كل انسان يختلف بحسب البيئته ونوع الشبه التي يمكن  
أن يصادفها وبحسب امكاناته العقلية وغير ذلك •

\*\*\*

وكما أنه نشأ مع الفقه علم أصول الفقه فقد وجد مع علم العقائد  
علم أصول العقائد ، وهو علم يشترك فيه علم أصول الفقه وعلم المنطق  
العقلي بآن واحد ، وله أحكامه الخاصة وإن كان لم يفرد بتأليف مستقل  
فبقى مشتتا بين كتب أصول الفقه وكتب المنطق وكتب العقائد نفسها .  
ومن ثم وقع بعض المؤلفين في هذا العلم نفسه بأنواع من الخطأ ، ومع  
كثرة الصراع بين الفرق الإسلامية وكثرة الخلاف بين المتكلمين خلال  
العصور فقد سار هذا العلم أحيانا في مسارات معقدة ، وبحث أمور  
بعيدة الغور •

ولم يكن أمام الباحثين خيار كما رأينا فشيء يجر الى شيء ،  
ولكن هذا أدى بالباحثين المعاصرين ومنهم سيد قطب رحمه الله الى

أن يلاحظوا الفارق الكبير بين الطريقة القرآنية في عرض العقيدة وبين طريقة المتكلمين • وبين الطريقة القرآنية في تربية العقيدة وبين طريقة المتكلمين ، ومن ثم حاولوا — أى المعاصرون — أن يقدموا شيئاً جديداً في هذا الباب وقد قدموا وأحسنوا ولكن ذلك لا يغنى عن دراسة العقائد في كتبها كما عرضها أهل السنة والجماعة لأن دراسة هذه الكتب هي وحدها العاصم بعون الله من الوقوع في زلل الاعتقاد الذي وقعت فيه الفرق الإسلامية الكثيرة •

ولذلك كان الأستاذ الينا واضحاً تماماً إذ جعل من واجبات أخوانه أن يدرسوا رسالة في أصول الدين وقد ذكر ذلك بوضوح في رسالة التعاليم •

على أنه في الوقت نفسه وضع أثناء ذكره للقواعد العشرين في أصول الفهم لدعوة الإخوان المسلمين مجموعة قواعد تصفى كثيراً من الأمور الخلافية في باب الاعتقاد بك نقول : انه وضع فيها حجر الأساس لحركة إسلامية عالمية واحدة تضم كل المسلمين •

وهنا نحب أن نذكر قضية من أهم القضايا التي نفهم على ضوءها دعوة الإخوان المسلمين كما أرادها الأستاذ الينا رحمه الله :

انها دعوة كاملة تريد أن تنبئ المسلم في كل جانب ، ومن ذلك العلم ، فهي في العلم تريد ألا تبقى عند المسلم ثغرة ان في الفقه كما رأينا أو في الاعتقاد كما نرى أو في التصوف والسلوك كما سنرى ، فهي تحاول أن ترتقى بالمسلم من النقص الى الكمال ، وهي مع هذا كله تريد أن تربط المسلم بنظرة كاملة شاملة في أمور الإسلام والمسلمين والعمل الإسلامي ، وهذه ميزة من أهم ميزات دعوة الينا •

فكثيرون من المسلمين وحتى العالمين اما مسلم أتقن علماً وغفل عن آخر أو أتقن علوماً وغابت عنه النظرة الكلية الشاملة للإسلام وأوضاع المسلمين والعمل الإسلامي الصحيح •

وحركة الإخوان المسلمين تنبئ في هذا كله فهي في كل علم تحاول أن تحرره من الدخن الذي علق فيه خلال العصور ، وكل ذلك في إطار نظرة كلية للإسلام واحتياجات المسلمين ووحدتهم •

وننعد الى قضية العقائد :

فمن أدبنا نحن الاخوان المسلمين أو من واجباتنا أن يدرس الواحد منا رسالة في أصول العقائد مع استذكاره دائما لأصول الفهم العشرين في دعوتنا التي سجلها الأستاذ البنا في رسالة التعاليم • وبذلك يجتمع لنا بأن واحد العلم بكل المسائل الأساسية التي لا ينبغي أن تغيب عن المسلم مع بقاء المسلم مشدودا الى الطريقة الفطرية الصافية في الاعتقاد والتي كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

\*\*\*

وفي سلسلتنا « الأساس في المنهج » سنحاول أن نعرض لكل المسائل التي تبحث عادة في كتب العقائد ، ونعرض فيها عقائد أهل الحق مع التدليل على صحتها وتبيان حدود الخلاف المقبول والخلاف المرفوض وفتح آفاق التعامل مع كل المسلمين على هدى فلعلنا بذلك نكون قد أسهمنا بدفع حركة الاخوان المسلمين في طريقا الصحيح في ما نريده من تحرير العلوم الاسلامية من دخنها وارجاعها الى فطريتها مع أخذها واتقانها ليجتمع للأخ مشاركتة لأصحاب هذه العلوم في علومهم مع تجنبه ما يؤخذ على أصحابها من مآخذ وكل ذلك ضمن نظرة واضحة للأمور •

\*\*\*

اننا نرغب أن يأخذ الأخ المسلم حظه من دراسة العقائد الاسلامية كما سجلها أئمة الهدى وأن يكون ذلك مرتبطا بالنصوص وبفهمها الفهم الصحيح لتبقى الأصول واضحة والفروع واضحة فالعلم وحده هو العاصم بعون الله في زمن كثر فيه ما يفتن عن دين الله عز وجل •

\*\*\*

- ٢ -

لقد كان جيل الصحابة يصحب عنده العلم العمل ، وكان له حاله القلبي وسمته الأخلاقي والسلوكي ، وضعف على مر الزمن العمل ، وضعف الحال القلبي والسمت الأخلاقي • وهما المظهر الأعظم لهدى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام • ومن ثم وجد التصوف الاسلامي كمحاولة لارجاع الأمر الى نصابه في قضية العمل الظاهري والحال القلبي للمسلم ثم سار هذا التصوف في طرق وتفرجات حتى قال

ابن عربي نفسه : « احذر هذا الطريق فان أكثر الخوارج منه وانما هو طريق الهلك والملك فمن حقق علمه وعمله وحاله فقد نال عز الأبد والا فقد هلك مع من هلك » •

هذا التصوف الذي أريد له في الأصل أن يكون تكميلا للمسلم في العمل والحال مع العلم أصبح في كثير من الأحيان طريق ضلال عن الحق والعياذ بالله • وجاء الأستاذ البنا وقد اختلط بالتصوف دخن كثير وكشأنه عليه الرحمة والرضوان مع العلمين الآخرين الفقه والعقائد أراد للمسلمين أن يأخذوا هذا العلم على صفائه الأول ، ووضع في التواعد العشرين نفسها ما يعصم من انحرافات الناس في هذا الشأن ، فأوجد ابداية الصحيحة لتصوف سلفى سنى •

وسنحاول في رسالة مستقلة في التصوف وهى : « تربيئنا الروحية » أن نعطي لتصوفنا أبعاده الأصلية • وفى سلسلتنا « الأساس فى المنهج » سنحاول أن نعرض لكل قضية من قضايا التصوف بمزيد البيان على ضوء انصوص ليكون مسارنا مستقيما وحجتنا على أمتنا قائمة •

\* \* \*

أثناء كلام الأستاذ البنا رحمه الله عن سمات دعوة الاخوان المسلمين يقول : وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك أن الاخوان المسلمين :

- ١ — دعوة سلفية لأنهم يدعون الى العودة بالاسلام ، الى معينه انصافى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم •
- ٢ — وطريقة سنية لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة فى كل شىء وبخاصة فى العقائد والعبادات ما وجدوا الى ذلك سبيلا •
- ٣ — وحقيقة صوفية لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على الذكر والعمل والاعراض عن الخلق والنخب فى الله والارتباط على الخير ••

\* \* \*

ولتكن هذه نهاية الجولة الخامسة فى هذه الرسالة وبها عرفنا أن دعوتنا الى دراسة الفقه ودراسة العقائد ودراسة التصوف ليست غريبة على فكر الأستاذ البنا رحمه الله تعالى ، بل هى منه وتأكيدا له وتعميق لأضمونه • وعرفنا فى الوقت نفسه شيئا ما عن بعض أمور ترافق هذه العلوم وتحتاج الى تحرير أو تصحيح أو تنقيح •

\* \* \*